جمعية الجنة.. بإدرة أمل لإنسان أنهكته الحروب

سمر منير جورج

تحت شعار "الإبداع والعمل.. يمنح الأمل بالشفاء" تم إفتتاح جمعية الجنة للرعاية الانسانية، النفسية والاجتماعية، وذلك يوم الخميس ٢٠٠٦/١/١٩ وهذه الجمعية تهدف في الأساس رعاية المرضى النفسيين وبالأخص هؤلاء الذين يصابون بالمرض نتيجة أحداث مؤلمة جسمية في حياتهم، وكذلك رعاية الأشخاص الذين يعانون من الشدة النفسية نتيجة الحرب والارهاب.

ولنتعرف أكثر على الأهمية التي كانت نتيجتها تأسيس جمعية الجنة والبدايات الاولى التي جاءت بفكرة تأسيس هذه الجمعية.. التقت "بهرا" بالدكتور باهر بطي أحد الأعضاء المؤسسين لهذه الجمعية فأجابنا مشكورا..

- لماذا أسست هذه الجمعية؟، وما هي الظروف أو الأحداث التي جاءت بفكرة تأسيس هذه الجمعية؟.

* الجنة جمعية انسانية، علمية، ثقافية، واجتماعية وهي منظمة أهلية وغير ربحية. كنا قد مارسنا نشاطنا منذ عدة سنوات كحركة انسانية تكافح ضد وصمة العيب الملحقة بالمرضى النفسيين. وبعد سقوط النظام السابق وإنفتاح العراق على المفاهيم العالمية المعاصرة ومنها مفهوم المنظمات غير الحكومية، قمنا بتأسيس هذه الجمعية بشكل رسمي.

الفكرة لم تكن على شكل الجمعية وانما إبتدأت مع بداية الحوار بين "د. باهر بطي" والمريض المقيم في مستشفى

الرشاد خضير ميري. هذا الحوار المعرفي هو أساس لفكرة حركة انسانية في المجتمع العراقي لإعادة النظر في المفهوم الاجتماعي للمرض النفسي من وجهة نظر انسانية، ومن اجل إستعادة المريض لإنسانيته وحصوله على الرعاية والتأهيل اللازم لإستعادة دوره كأنسان منتج ومفيد في المجتمع. وبعد إقامتنا للمهرجان الاول للفن والجنون والابداع الذي كان يهدف الى تسليط الضوء على إبداعات المرضى النفسيين في حقول الفن والأدب والفكر عام ٢٠٠١ ثم المهرجان الثاني في العام التالي، تبلورت فكرة تأسيس الجمعية. وكما قلت سابقا تم تشكيل الجمعية رسميا في آيار ٢٠٠٣، وإنضم الى الهيئة التأسيسية مؤخرا كريم وصفي الذي يعمل مدير للفرقة السمفونية ولديه برنامج للعلاج بالموسيقى، وكذلك السيد احمد مالك حنتوش صاحب شركة نور الصباح والذي تبنى تمويل المقر الذي إفتتحناه في ٢٠٠٦/١/١٩ واضافة الي خضير ميري وانا، كما توجد مجموعة من المختصين في حقل العلوم الانسانية والصحة النفسية.

- ما هي الاسس التي تقوم عليها جمعية الجنة؟.

* نشاط الجمعية سيقوم علي مركزين أساسين هما مركز رعاية المواهب ومكتب الإستشارات النفسية والاجتماعية. وسيتم تقديم الخدمات وفقاً لبرامج محددة لكل شريحة وموزعة على أيام الاسبوع، وأبتداء تم تحديد يوم السبت لبرنامج الصحة النفسية للمرأة.

- ما هو الهدف الرئيس الذي تسعى الجمعية لتحقيقه؟.

* تهدف الجمعية لتوفير الرعاية النفسية للمجتمع العراقي بشكل عام، ولذوي الحاجات الخاصة والفئات الهامشية بشكل خاص، من منطلقات انسانية ونفسية - اجتماعية، حيث تراكم الإفتقار للرعاية في مجتمعنا بسبب الضغوط النفسية والاجتماعية التي تعرض لها المجتمع، وتدهور القواعد الانسانية للمجتمع المدني بسبب الحروب والإضطهاد والعنف المستمر الذي يعاني منه المجتمع، كما يعاني من غياب الخدمات النفسية المجتمعية للأفراد المصابين بأزمات نفسية وللمرضى النفسيين والمعوقين نفسيا. كما يفتقد مجتمعنا الى خدمات التأهيل النفسي المعاصرة التي تساعد في إستعادة المريض احترامه لنفسه واحترام المجتمع له، وبالتالي إستعادة انسانيته، حيث لا يزال المرضى النفسيون يعانون من مشكلة وصمة العيب ويفتقدون للرعاية الانسانية

والاجتماعية وينبذون من قبل عوائلهم ومجتمعهم. ان المجتمع العراقي بحاجة ماسة لخدمات التأهيل النفسي التشغيلي والإيوائي، حيث ان المفاهيم المعاصرة تؤكد على إستعادة المريض النفسي لإحترامه إنسانيا ولدوره المنتج والمثمر إقتصاديا في المجتمع.

فهناك أحد المرضى في مستشفى الرشاد للامراض العقلية وهو شاعر وفنان، كتب أبيات الشعر التالية الى طبيب التأهيل النفسي:

فلنا الحق منه والعز معاً

وله منا الوفاء والسؤلا

فقد أذاقنا طعم الكرامة منهجاً

وأحيا بنا مريضاً فاقد الأملا

هذا المريض يستحق ان يخرج من المستشفى ويعيش في المجتمع ولكنه محجوز في المستشفى منذ خمسة عشر سنة لغياب الخدمات النفسية المجتمعية.

- وكيف ستعملون على تحقيق أهدافكم في الجمعية بداخل المجتمع العراقي؟

* تعمل جمعيتنا على عدة مستويات لنحقيق أهدافها:

١. مكافحة وصمة عيب المرض النفسي: نهدف لإقامة مركز تخصصي يسعى من خلال برنامج عملي لإيجاد فهم مجتمعي جديد للإضطرابات النفسية والإجتماعية التي تقود إلى المرض النفسي والعمل على تنمية المنظور الإنساني الحديث في التعامل ومعالجة الأمراض النفسية وتفعيل مفهوم الشفاء الإنساني والإجتماعي للمريض النفسي بواسطة الإبداع والعمل.

يهدف المركز تنشيط حركة إجتماعية لمكافحة صفة العيب الملحقة بالمرض النفسي، وإزالة معوقات المرض عن طريق المرضى النفسيين أنفسهم وإزالة شعورهم بالخجل من المرض، عن طريق رعاية المرضى الموهوبين والمبدعين. من جهة أخرى وكجزء من هذه الحركة الأنسانية يجب الدفاع عن حقوق المرضى النفسيين في مجالات التشريعات، القضاء، الخدمات الصحية للدولة، والمجتمع.

٢. التأهيل التشغيلي "المهني": تهدف المنظمة إقامة مراكز متخصصة للتأهيل التشغيلي والمهني، وكذلك إلى إنشاء ورش محمية لتشغيل المرضى داخل وخارج المصحات النفسية. والبحث عن التبرعات الطوعية والمساعدات الإنسانية والإجتماعية اللازمة لإقامة المشاريع الخاصة بالتأهيل المهني

للمرضى والمعوقين نفسياً. والسعي لتحقيق الهدف النهائي للتأهيل المهني عن طريق مساعدة المرضى لإقامة مشاريع عمل صغيرة خاصة بهم على شكل فردي أو مجموعات صغيرة منهم أو إيجاد فرص عمل لهم في المجتمع وإعادتهم كأفراد منتجين في المجتمع. ويمكن الإستعانة بحرفيين لمساعدة المرضى من خلال تشغيلهم في مشاريعهم.

٣. التأهيل الإيوائي: تهدف المنظمة توفير رعاية وتأهيل إيوائي للمرضى الذين لا عوئل لهم والمشردين أو الذين لا تتمكن عوائلهم من إستيعابهم لديها.

٤. السعي لتقديم الخدمات لعوائل المرضى النفسيين لتوفير أفضل الأجواء العائلية لرعاية مرضاهم.

قامت جمعيتنا خلال الفترة الماضية بتقديم الدعم ضمن إمكانياتنا إلى المرضى الراقدين في مستشفى الرشاد من أصحاب المواهب. كما قدمت الدعم لإنشاء ورشة للرسم على الزجاج في المستشفى. من جهة أخرى فقد قامت الجمعية بالتعاون مع المنظمات المعنية بالمرأة العراقية بتنظيم دورات تثقيفية للصحة النفسية للمرأة وإصدار كرّاس حول هذا الموضوع.

- ماهي المعوقات التي تقف أمام عملكم في جمعية الجنة؟

* تؤدي "الجنة" أعمالها بمساعدة ودعم من المنظمات الإنسانية والخيرية والأشخاص الخيرين، وكل الجهات التي تدعم النشاطات الإنسانية والتنمية. ولكن المجتمع العراقي لم يصل بعد إلى مرحلة نضج وإستيعاب لمفهوم منظمات المجتمع المدني ودورها في العمل الخيري. كما إن هذه المنظمات لم تدخل في النظام التنموي الإقتصادي في العراق. لذلك تعاني جمعيتنا من مشكلة التمويل إسوة بالعديد من الجمعيات العراقية غير الحكومية. إذ لا توجد ضوابط رسمية لحد الآن تنسق آليات عمل مؤسسات الدولة مع منظماتنا ولا توجد آليات تمويل ولا آليات تدقيق ورقابة محددة وواضحة، فلا تزال منظمات المجتمع المدني العراقية معتمدة في تمويلها على منظمات عالمية وهذا غير صحيح لأنه لم يسمح بفرز المنظمات الحقيقية عن الوهمية وبالتالي اختلط الحابل بالنابل، والغريب أن عملية التمويل حتى من قبل المنظمات العالمية أصيبت بمرض المحسوبية وغيرها.

نتمنى من كل قلوبنا ان تعمل جمعية الجنة على تحقيق كل أهدافها والأهم ان تستطيع نشر أهمية الثقافة النفسية في مجتمع هو بحاجة الى هكذا تنظيمات وخصوصا في هذا الوقت بالذات.

المدير التنفيذي لقناة آشور الفضائية: شعارنا هو "التوازن"

بهرا - متابعات

تعدد قنوات التلفزيون العراقية "الأرضية والفضائية" على نحو لافت للنظر، ومن بين هذه القنوات هناك فضائيات عراقية تميزت بإنتمائها الوطني أولا ومن ثم بتمثيلها لمكونات الشعب العراقي القومية. فهناك فضائيات عربية وكوردية وتركمانية وكلدوآشورية سريانية وهي ظاهرة صحية. وفي لقاء مع السيد "يعقوب" المدير التنفيذي لفضائية آشور تحدث فيه لصحيفة "المدى" عن فضائية آشور قائلا: "ربما لا يعرف الكثيرون بأننا بدأنا البث منذ عام ١٩٩٥ في دهوك وأربيل باللغتين السريانية والعربية عندما كان النظام السابق قائما، وقد بدأنا البث الأرضي في بغداد أواسط ٢٠٠٤ وكنا نحاول ملء الفراغ الإعلامي في البلد بعد سقوط النظام، وإعتمدنا على خبرتنا وإمكاناتنا الذاتية في إنتاج البرامج المحلية.

وأضاف "الآن توجهات فضائيتنا هي عراقية وطنية، وتنحاز إلى قضايانا العراقية، وبالذات قضايا المواطن العراقي وكذلك هناك خصوصية لشعبنا الكلدوآشوري السرياني، الذي هو أحد مكونات الهوية الوطنية العراقية، لكون شعبنا كان من المغيبين دائما في العراق، وهُمش وأعتبر من الدرجة الثانية، والثالثة، فكان لا بد من ان توجد وسائل إعلام تهتم بهذا المكون وتاريخه وثقافته وتراثه الذي هو جزء أصيل من تراث العراق".

"كنّا بحاجة إلى تسليط الضوء على شعبنا "الكلدوآشوري السرياني" وقضاياه، وأن نبيّن للمواطن العراقي أن هناك جزءا أصيلا من مكونات هذا الشعب مهمش، وأن له لغته القومية، وهي إحدى اللغات الوطنية العراقية الأصيلة، ومن ثم لنساهم في صناعة إعلام وطني عراقي نعبر من خلاله للعالم أجمع على أن العراق ما زال قادرا على التواصل وإن فيه من الإمكانات الإعلامية القادرة على إيصال "الرسالة العراقية" إلى مختلف المناطق في العالم، ولكسر ذلك الطوق الذي كان يعيش فيه الشعب العراقي بمختلف مكوناته القومية والثقافية العراقية عندما كان ممنوعا عليه التواصل مع العالم".

وقال المدير التنفيذي لقناة آشور الفضائية "إن لفضائية آشور مكاتب في دهوك وسهل نينوى وأربيل وكركوك، ولدينا مراسلون في الجنوب والفرات الأوسط، وتضم الفضائية أقساما منها القسم السياسي والمنوعات، والأخبار والقسم السرياني، إضافة إلى الأقسام الفنية.. والخبرات المتوفرة في الفضائية عراقية ١٠٠% وغالبا ما نعمد إلى إقامة دورات للتدريب والتطوير للعاملين في فضائية آشور".

ولفضائية آشور كما لبقية الفضائيات دورات برامجية وتحدث السيد "يعقوب يعقوب" عن هذا الجانب فقال "سنقوم ببث دورة برامجية جديدة لعام ٢٠٠٦ وسيكون شعارها "التوازن" بين كل مكونات الشعب العراقي، وهو الشعار الذي جعلنا ندخل إلى كل بيوت العراقيين. وفي الدورة الجديدة ستكون هناك برامج حوارية مباشرة نناقش فيها الكثير من القضايا التي تهم المواطن العراقي، وسنواكب كل التطورات وتكون نافذة المواطن لإيصال صوته إلى المسؤولين في الحكومة التي ستتشكل لأنها ستستمر لأربع سنوات، وهذه مدة كافية لتقوم بإنجاز ما وعدت به المواطن العراقي قبل الإنتخابات. وهنا يبدأ دور الإعلام كسلطة رابعة وله دور مراقبة الحكومة وأدائها وماذا ستقدم للمواطن؟".

"من الجديد في الدورة القادمة إنتاج دراما سريانية "تمثيليات ومسلسلات" بمشاركة فنانين مثل "ريكاردوس يوسف" وغيره، وسننجز في المرحلة الأولى أربعة أعمال".

وعن رأيه بتعدد التلفزيونات العراقية قال المدير التنفيذي أن هذه "الظاهرة صحية وتشبه الفورة الصحفية التي ظهرت عقب السقوط ثم إنحسرت الصحف وبقيت الصحف التي لها القدرة على المنافسة والتواصل وكسب القراء، والحال مع القنوات التلفزيونية سيكون مماثلا، فسوف تبقى الفضائيات أو القنوات التي تتواصل مع الناس، وهناك فضائيات هي في الحقيقة مشاريع خاصة لشخصيات أو تيارات سياسية وستبقى لحين زوال الهدف من إنشائها. وهذه الظاهرة برأينا تعبر عن قدرة العراقيين، فمن فضائية واحدة إلى ما يقرب من "٢٠" فضائية أو يزيد. والفضائيات العراقية تعكس الواقع العراقي الجديد، وهناك قنوات لكل فئات الشعب، ولكن ما نفتقره هو غياب إعلام موحد وكل، مكون عراقي له فضائية تعبر عن قضاياه الخاصة، مع ذلك فإن جميعها متفقة على القضية الوطنية العراقية العامة وهي العراق الجديد. وتبقى سمة التنافس هي الطاغية بين هذه الفضائيات وآشور أول فضائية بثت حفلات لفنانين عراقيين مثل الفنان "فؤاد سالم والفنان" و"آشور بت سركيس"، وبحضور جماهيري متميز متحدين كل الظروف غير الطبيعية في البلد".

وفي النهاية قال السيد "يعقوب يعقوب"، "نحن أحرار في توجهاتنا الإعلامية ونشعر بأننا نحيا في مناخ من الحرية ولقد أصبح الإعلامي العراقي حرا في إختياره العمل في هذه المؤسسة أو تلك، وهذه هي الحرية الحقيقية للإعلامي العراقي".

الترجمة فى العراق مهنة الدولار والمخاطر

صباح جرجس

صار المترجمون فى العراق الذين تتطلب مهنتهم أن يعملوا مع محتلي بلادهم عرضة بدرجة هائلة لهجمات المتطرفين الكارهين للاجانب. ومنذ الغزو الذى قادته أميركا تعرض عدد غير معلوم من المترجمين للتهديدات والمضايقات أو القتل على أيدى المسلحين. بعضهم قتل فى حوادث إطلاق نار من سيارات مسرعة أو بعبوات ناسفة زرعت على جانب الطريق. مما اضطر عدد كبيرمنهم الى الفرار من منازلهم والبحث عن ملجأ آخرعند الأميركيين كما غيّر آخرون أماكن سكناهم. وقتل مؤخرا مترجم عراقي كان يرافق "جيل كارول" الصحفية الأميركية التى كانت تعمل لصحيفة "كريستيان ساينس مونيتور" إثر إطلاق النار عليه وقبل أن يقوم قاتلوه باختطاف "كارول". كان "جون عزيز غازى" والصحفية الاميركية فى طريقهما لمقابلة "عدنان الدليمى" المسؤول السنى البارز فى حي بغرب بغداد. فيما عثرت شرطة مدينة "كركوك" بشمال العراق على جثة مترجم عراقي كان يعمل مع القوات الاميركية على بعد ٢٠ كيلومترا من كركوك" بعد أسبوعين من اختطافه. وكثيرا ما يجد المترجمون أنفسهم وسط وابل من النيران المتبادلة وهم برفقة الدوريات الاميركية أو وهم يعملون فى مشاريع الاعمار التى يرعاها الاميركيون أو يقومون بعمليات الترجمة للصحفيين أو الباحثين والزائرين. وزاد الرقم المعلن للقتلى بين المترجمين على الـ ٥٠ ولكن من المعتقد أن الرقم الحقيقى يزيد على ذلك بكثير.

يقول مترجم طلب عدم ذكر اسمه "إن عملي كمترجم كان قصير العمر، فقد عملت مع الاميركيين لمدة عام واحد فقط بعد الغزو"، ويضيف "انه يريد أن يعيش من أجل أطفاله".

وتقول "مى سعد الله" خريجة قسم اللغة الانكليزية بجامعة بغداد "أنها تؤثر العمل موظفة على العمل مترجمة مع الاميركيين"، وتستطرد قائلة "أنها كانت تود أن تعمل مترجمة مع الاجانب لكن الأمان له الاولوية". وتضيف "كنت أود أن أحسن إنكليزيتي بالعمل مع أناس لغتهم الاصلية الانكليزية".

لقد أصبحت كلمة مترجم اليوم من الكلمات شبه المحظورة الى حد أن بعض الادارات فى الجيش الاميركي ووسائل الاعلام تحاول تحاشي الكلمة عند إصدار بطاقات هوية لموظفيها من العراقيين وتعطيهم عناوين وظيفية بديلة. بل وتروج شائعات أن جمعية المترجمين العراقيين التى ينضوي تحت لوائها نحو ١٠ آلاف مترجم تدرس إمكانية إصدار بطاقات هوية بمسميات وظيفية بديلة.

ويقول "صالح" الذي اكتفى بذكر هذا المقطع من اسمه "إن الترجمة نافذة نطل منها على العالم. وكنا فى عهد صدام حسين نخشى التحدث مع الأجانب تحاشيا لمطاردة أجهزة الامن لنا". وفى ذاك الوقت كان خريجو أقسام اللغات بالجامعات العراقية يحسنون مهاراتهم اللغوية من خلال مشاهدة الافلام وبرامج التليفزيون الغربية. ورغب بعضهم على تطوير لغته الإنكليزية منتظرا العمل مع الشركات الأجنبية ولممارسة اللغة والاستفادة من مهاراتهم. وهرع بعضهم الى الفنادق حيث يقيم الصحفيون الاجانب لبيع خبراتهم اللغوية لهم مقابل دولارات. ويتزاحم المترجمون يوميا عند مداخل المنطقة الخضراء شديدة التحصين بحثا عن العمل. ولا تتوفر معلومات عن عدد المترجمين الذين يعملون مع قوات التحالف أو الذين قضوا نحبهم بسبب هذه المهنة. وقد ارتفع أجر المترجمين والمترجمين الفوريين نظرا لارتفاع المخاطر التي يواجهونها. وتقول التقارير أن أجر المترجم الذى يعمل مع القوات الاميركية يصل إلى ألف دولار شهريا مقابل ٣٥٠ دولارا شهريا فى السنة الأولى من الغزو. ويصل أجر المترجم الفوري الذي يعمل على أساس يومي الى ١٠٠ دولار يوميا وهو دخل مرتفع جدا بالنسبة للمهن الأخرى.

النزوح الجماعي لنخب وأطباء وعلماء العراق

بغداد - كهلان القيسي*

أغلق اشهر أطباء القلب في العراق عيادته، بعبارة كتبت على الباب تقول "على كافة مرضى الدكتور عمر الكبيسي، مراجعته في عمّان - الأردن".

هناك وفي "عمّان" يقضي الدكتور الكبيسي، ٦٣ عاما، أيامه جالسا في مقهى مع الأطباء والاختصاصين الآخرين من العراق. يبدو محبطا، وهو يراقب عن بعد كيف ينهار ويتلاشى ببطء نظام التعليم الطبي الذي ساعد على تأسيسه والعمل فيه مع أشهر الأطباء العراقيين نراهم اليوم يغادرون الوطن نتيجة الخوف من القتل أو الاختطاف، أما الأطباء حديثو التخرج فإنهم يبحثون عن بلدان أخرى للتدرب فيها. حتى المرضى يهربون لأنهم لم يعدو واثقين من الرعاية الطبية التي يمكن أن يحصلوا عليها في العراق.

يقول الدكتور "عمر الكبيسي" عبر مكالمة بالهاتف "اعتقد إن العملية جزء من خطة شاملة لتدمير البلاد، لقد أصبح الوضع سيئا جدا في الشهور الستة الأخيرة ونحن لا نستطيع أن نستمر في عملنا". كان الدكتور الكبيسي مع تسعة أطباء آخرين قد تركوا بغداد في أيار الماضي بعد أن تسلموا رسائل تهديد كتبت بطريقة صبيانية باليد تنذرهم بأنهم سيقتلون إذا لم يتوقفوا عن العمل في موطنهم العراق، وكان هو وزملاؤه قد تلقوا تهديدات سابقة ولكن الأخيرة منها حملت إنذارا أخيرا، كما قال.

يذكر إن كبار علماء العراق ونخبه من "أطباء، محامين، أساتذة ورجال أعمال" قد استهدفوا من قبل المجموعات السياسية الغامضة من خلال الإختطاف وطلب الفدية، بالإضافة إلى القتل. وإن العديد منهم هربوا من البلاد، وهذا يجعل العراق في خطر كبير لخسران الكثير من علمائه ومثقفيه وخبرائه ومن يمتلك المهارة العالية وتحتاجه البلاد أكثر من أي وقت مضى لكون العراق هو في مرحلة إعادة البناء.

"إنها عملية استنزاف للعقول" كما يقول "أمير الفايد" مساعد عميد كلية العلوم السياسية في جامعة بغداد، "إن البلد يمكن إن يؤول إلى مجتمع بدون معرفه، وكيف لمجتمع كهذا أن يتطور؟". الاختصاصيون ورجال الأعمال الذين يملكون الوسائل للهروب يذهبون الى "الأردن، سوريا، مصر، أو إذا حصلوا على التأشيرات، الى البلدان الغربية". ويشعر أولئك الذين بقوا في العراق بأنه قد تم التخلي عنهم. ومنهم "أحمد مير علي" طبيب مقيم بعمر ٢٧ سنة، ترك لوحده لإدارة المستشفى الخاصة بعد إغلاق مكتب الدكتور "الكبيسي"، كما إن أغلب الإختصاصيين الذين عملوا هنا لتقديم العناية للمرضى قد تركوا المستشفى. ويقول الدكتور أمير "لقد كانوا من الاختصاصيين الذين تخرجوا في إنكلترا وأمريكا، لقد كانوا أساتذتي، والآن بعض المرضى يذهبون حتى الى إيران للعلاج، في الماضي لم يكن احد يفكر في الذهاب إلى إيران". يتمنى العديد من الشباب المتخرجين حديثا الهرب، ومنهم الطالبة "إيمانه نبيل ٢٢ عاما" التي ستتخرّج قريبا في جامعة بغداد بدرجة البكالوريوس في العلوم السياسية، حيث تقول "بالطبع أنا سأترك البلد إذا كنت قادرة على ذلك، ليس هناك سلام، لا استقرار ولا وظائف، أما الطلبة الآخرون في الحرم الجامعي، فهم واحة مؤقتة في مدينة عنيفة".

النزوح الجماعي ليس جديداً في هذه البلاد. فقد هرب العديد من العراقيين من حكم صدام حسين القمعي، خاصة أبناء الجنوب الشيعة الفقراء الذين انسلوا عبر الحدود الى إيران، و العرب السنة عبروا الجبال إلى سوريا أو الصحراء إلى الأردن. وانتظر هؤلاء الناس سنوات في هذه البلدان من اجل الحصول على الإقامة والعمل وبعد ذلك ذابوا هناك. بعد سقوط نظام صدام عاد قسم من هؤلاء اللاجئين الى العراق، لكن عدم استقرار البلاد ودورة العنف اليومي جعلا العديد منهم يعيدون النظر في عودتهم. أما الآخرون الذين بقوا في العراق أيام حكم صدام حسين، أخيرا يقولون لوطنهم وداعا.

من المستحيل توثيق أعداد العراقيين الذين يتركون البلاد الآن، لان الكثير منهم يبلغون دائرة الجوازات بأنهم سيسافرون خارج البلاد لفترة قصيرة ولا يخبرون حتى جيرانهم أو أصدقاءهم، يحملون ما خف حمله من بيوتهم ويختفون. ويحدد مسؤول في مكتب إحصائيات وزارة الداخلية عدد العراقيين الذين يسافرون برا الى الأردن بحوالي ٢٠٠ الى ٢٥٠ شخصا في اليوم للفترة من تموز ٢٠٠٤ الى حزيران ٢٠٠٥. أما منذ تموز الماضي، فان عدد الذين يعبرون الحدود "ماعدا سواق الشاحنات والتجار" ارتفع الى ١١٠٠ شخص في اليوم. قد يعودون إذا كان البلد آمناً، أو قد لا يرجعون. فمنذ سقوط صدام حسين، أصبح الاختطاف تجارة مربحة، حتى الأطفال يختطفون، ثم يفتدون في نفس اليوم ببضعة مئات الآلاف من الدولارات يدفعها آباؤهم المفجوعون. أصبح كل من يملك إشارات على ثروة معينة من الأختصاصيين ورجال الأعمال هدفا للاختطاف لطلب فدية أعلى، حتى الفدية أحيانا لم تكن ضماناً، فالعديد من المخطوفين قتلوا ورميت جثثهم في الطرقات، وتقول بعض السلطات إن العشرات من الجثث توجد متروكة كل يوم لكن لا يتم الإخبار عنها، لان أعمال العنف الأخرى من التفجيرات والقتل الجماعي قد غطت على خطف العراقيين بصورة عامة.

ويقول "الفايد" إن "الأساتذة هدّدوا. والأطباء قتلوا في عياداتهم. والقتل أصبح شائعا ويعتقد بعض الناس إن هذا متعمّد في محاولة لإفراغ العراق من نخبه".

مثلا الدكتور "الكبيسي" الرئيس السابق للهيئة الطبية العسكرية في العراق، صدق بتلك التهديدات. ففي أواخر نيسان، سلمه سكرتيره رسالة كتبت بلغة عربية "سيئة" تمهله ٦ إلى ١٠ أيام لترك البلاد. ثم سلم الرسالة الى السلطات، التي أدعت بأنها مزيّفه. ولكن بحلول الثامن من آيار كان الكبيسي في الأردن. أما أبناؤه الثلاثة وبنته الذين كلهم أطباء لا يستطيعون أن يخاطروا بالبقاء كما قال في عمّان حيث كان يجلس مع ١٠-١٢ من الاختصاصيين الكبار، "نحن نناقش الوضع فقط" "إن الجلوس هنا موت عقلي بطيء. لكن حتى مرضاي يقولون بأنني يجب أن لا أرجع. حقا، أنا لا أستطيع أن أدفع فدية عن مختطف. وان لم تدفع فانك ستقتل". ومما يؤلمه أن نظام مراقبة التدريب الطبي الذي ساعد على خلقه يتهاوى أمام عينيه ويقول إن "نظام التعليم والتدريب والعناية قد تحطم وقد لا يمكن استعادته، إن كليّاتنا الطبيّة وأطباءنا معروفة جدا في جميع أنحاء العالم العربي ورعاية التعليم كانت ممتازة، لأنها مستندة على النظام البريطاني. كنا ناجحين جدا في أن نؤسس دراساتنا العليا الخاصة، بضمن ذلك العديد من الاختصاصات الطبية أيام نظام صدام حسين أما الآن فهم يفرغون البلاد من كل هذه".

قصة أخرى، أم مصطفى وزوجها رجل الأعمال، تمنوا البقاء في العراق. لكنهم تركوا ذلك الهدف، بعد أن قام لصوص بالهجوم على بيتهم ودخلوا غرفة نومهم، واحتجزوا ابنهم الشاب وسددوا بندقية إلى رأسه، وطلبوا من أبويه أن يسلّموا كل ذهبهم ومجوهراتهم. وتقول "أم مصطفى" ٢٧ عاما، التي لاتزال تخشى الهجوم ورفضت إعطاء اسمها بالكامل "نحن لم نرد ترك البلد، كنا عائلة غنية وسعيدة جدا. زوجي كان عنده تجارة جيدة. وكان عندنا مال، وبيت وسيارة وخدم". لقد أرهب الرجال العائلة لأكثر من ساعتين، يهدّدونهم بالقتل أو اختطاف ابنهم ذو الـ ٦ سنوات، بينما كان يصرخ ابنهم ذو العامين من العمر، لقد ضربوا زوج أم مصطفى.. أخيرا تركوا البيت بعد أن استولوا على كافة المجوهرات والأموال وقطعة سلاح كانت في البيت. تركوا الزوجين مقيدين بأصفاد من البلاستيك ومحبوسين في الغرفة، وهددوا بأنهم سيحرقون البيت عندما غادروا. لربّما كتب الله لنا عمرا جديدا لأنهم لم يقتلونا" كما تقول أم مصطفى. وقررت هي وزوجها الإنتقال الى الأردن. لكنهم سمعوا بأنّ السلطات الأردنية، قلقة بشأن التدفق الكبير للعراقيين، وهي تعمل على جعل الحياة أكثر صعوبة هناك. لذا اشتروا التذاكر إلى القاهرة بدلا من ذلك. وتضيف "نحن لا نعرف كيف سنعيش هناك؟، فعلى زوجي أن يجد عملا جديدا. وأنا سأبحث عن عمل أيضا، إن ترك البلاد في أي وقت لم يكن قرارا سهلا. وعليك أن تبدأ حياة جديدة، انه شيء صعب جدا. لكنه سيكون أفضل من البقاء هنا في بلاد ليست آمنه بعد الآن. لقد عشت في العراق خلال أربعة حروب. لم أود ولم أفكر في ترك البلد قبل ذلك، أما الآن، أصبحت الحياة في العراق خطرة. أنا لا أشعر بالأمان حتى في غرفة نومي الخاصة أو في البلاد بكاملها".

* عن صحيفة كتابات الألكترونية.